

محاضرات في مادة : مضمون الخطاب الشعري القديم - السنة : الاولى ماستر - تخصص أدب عربي قديم -

تقديم : الأستاذ الدكتور : فاتح حمبلي.

- إضافة إلى مجموع الأهداف البيداغوجية الواردة في التوطئة التوجيهية ، وفي إطار هذا المحور :

- يستطيع الطالب بعد اطلاعه على هذا المحور الإلمام بالإطار المرجعي التاريخي، الاجتماعي، السياسي، في هذا العصر وأثره على الشعر.

- التعرف على أهم القضايا الشعرية والنقدية. (شعراء المذاهب السياسية: الامويون، الهاشميون، الخوارج، الزبيريون) وخصائص كل فن شعري، شعر النقائض، ظاهرة الغزل العذري والحضري.

- التعرف على الخصائص الموضوعية والفنية لشعر هذه المرحلة.

- التعرف على أهم شعراء هذا العصر والوقوف على بعض خصائصهم الأسلوبية من خلال نماذج شعرية.

محور العصر الأموي:

استمر الحكم الأموي من سنة 41 هـ الى 132 هـ بلغت الدولة الأموية أوج قوتها وعظمتها واتساعها في عهد الخليفة العاشر هشام بن عبد الملك إذ امتدت من الصين والهند شرقاً حتى بلاد الغال غرباً (فرنسا حالياً) ومن بلاد القوقاز والأناضول) جورجيا وتركيا حالياً) وسواحل إيطاليا شمالاً حتى أرض الحبشة (إثيوبيا حالياً) وغابات إفريقيا جنوباً- راجع الاطار التاريخي و السياسي لنشأة الدولة الاموية في محور الدروس التوجيهية -

1-آداب الفرق الإسلامية:

في أول أمر دخلت العرب الإسلام فصار عقيدة آمنوا بها وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أراد الناس العودة إلى ما كانوا عليه سابقاً، فانقسموا إلى محتفظين بعقيدتها ،ومتخلين عنها فتارت حروب الردة وفي هذا قال الحطيئة:

فيا لعبادي الله ما لأبي بكر

أطعنا رسول الله ما كان بيننا

ومنه نقول لم يلتزم الشعر بالسياسة إلا بعد مقتل الخليفة عثمان وما أعقبه من فتن وحروب أهلية فانقسم العرب إلى شيعة وأحزاب تتنافس على السلطة وكانت العقيدة محور تلك الخصومات حيث ظلوا يفخرون بأنسابهم ،ومأثر أبائهم وأجدادهم.

-يتفرد الهاشميون والخوارج من بين هذه الأحزاب بإيمانهم الوجداني والفكري المنزه عن الأهواء الدنيوية والطموح إلى المال والسلطة:

الهاشميون: شعورهم الوجداني الخالص النابع من حبهم الديني الصادق لأبناء علي وفاطمة، دون أن تكون لهم فلسفة خاصة في الحكم كان الأساس عندهم الحرس على العدالة والتقوى.

الخوارج: كان لهم رأيهم المعروف، في الحكم والسياسة والزهد المفرط في حب الدنيا والتمتع بملذاتها، وكانوا على غاية من الشجاعة في الدفاع عن آرائهم وأفكارهم التي يؤمنون بها.

2- أهم الفرق التي شاعت في العصر الأموي:

1- **الزبيريون:** لم يدم سلطان الزبيريين طويلاً حتى تكون لهم فلسفة سياسية خاصة أو يقيم لهم حزب سياسي بالمعنى الصحيح حيث دام حكمهم تسع سنين.

إن الممعن في قراءة التاريخ يجد أن الزبيريين لم يطمعوا بالحكم لتحقيق أطماعهم الشخصية ومآربهم الذاتية بقدر ما هو تطلع سياسي إلى قريش كلها وأهل الحجاز بشكل عام الذين فقدوا الخلافة التي انتقل مركزها من المدينة إلى دمشق على أيدي بني أمية واستتار بالسلطة دون غيرهم من بطون قريش.

- يمثل عبد الله بن قيس الرقيات اتجاه الزبيريين والدفاع عنهم بصدق وحرارة يقول:

كيف نومي على الفراشي ولما يشمل الشامة غارة الشعراء

(2) - **الخوارج:** نشأت حركة الخوارج بعد معركة صفين التي درات بين علي بن أبي طالب ومؤيديه، وبين معاوية بن أبي سفيان ومؤيديه، وكادت المعركة أن تنتهي لصالح علي كرم الله وجهه، حتى جاء عمر بن العاص بفكرته المعروفة وهي فكرة تحكيم القرآن بين الطرفين، وهي في حقيقتها خدعة أدركها على بظننته الوقادة إلا أن جماعة خرجوا عليه، وأرغموه على قبول فكرة التحكيم ولما اضطر للنزول عند رأيهم ثاروا عليه مرة أخرى لقبوله الفكرة، وهذا يعني أنه يشك في أحقيته للخلافة وطلبوا منه أن يقر بخطئه بل بكفره وعليه أن يرجع إلى الحق حتى يرجعوا إلى صفوف جيشه.

من أهم شعراء الخوارج: الطرماح بن حكيم، وعمران بن حطان، وقطري ابن الفجاءة الذي كان يتميز بنفحة شعرية واضحة حيث يقول:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحكي لن تراعي؟

3- **الشيعة:** نشأ التشيع في الكوفة حيث كانت الكوفة مقرّاً للخليفة علي بن أبي طالب، وقد أمن أهلها بعد وفاة علي بأنه وأبناءه أحق الناس بالخلافة، وهم أصحابها الشرعيون لأنهم أقربوا الناس إلى رسول صلى الله عليه وسلم، والشيعة في التاريخ فرق كثيرة أهمها:

أ - الكيسانية: التي دعت لمحمد بن الحنفية وقد تأثرت بآراء ابن سبأ اليهودي فذهبت تزعم أن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر وأنه ورث عن علي علم الباطن وأن به قبسا من روح الله وهو قبس ينتقل في أئمة الشيعة إماماً بعد إمام حتى إذا توفي قالوا برجعته وأنه سيعود فيملاً الأرض علماً وعدلاً ونوراً وهي فرقة مغالية ومن شعرائها كثير.

ب - الزبديّة: هي فرقة تنسب لزيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب وهي ليست مغالية كالكيسانية بل ترى أحقية الخلافة لأبناء علي فهم حفدة الرسول الكريم وأحق الناس بها.

4- **بنو أمية:** بطن من بطون قريش قاومت الإسلام في بدايته بزعامة أبي سفيان، وما إن انتصر الإسلام بفتح مكة حتى أعلن أبو سفيان إسلامه ودخلت كل قبائل قريش في الإسلام، ولكن عندما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذ بنو أمية يطالبون بدمه وينصبون من انفسهم أوصياء، وأخذ يتزعم هذه الحركة معاوية بن أبي سفيان، الذي كان أميرًا على الشام حينذاك وعندما بويع علي بالخلافة رفض معاوية ومن خلفه من بني أمية المبايعة، كما خرج طلحة والزبير والسيدة عائشة يطالبون بالخلافة، وهؤلاء تواجهوا صوب البصرة واتخذوها مركزًا لهم، واتخذ علي الكوفة مركزًا للخلافة، وهكذا تكون الخلافة قد انتقلت من المدينة المنورة في الحجاز إلى الكوفة في العراق، ولم يلبث طلحة والزبير أن سقطا في وقعة الجمل، فخلا الجو لمعاوية ومطالبته بالثأر من قتلة ابن عمه عثمان، وأسرع علي بعد أن بايعه أهل العراق جميعا لملاقاة معاوية في صفين على حدود الفرات، وكادت المعركة تنتهي لصالح علي وجيشه لولا خديعة عمر ابن العاص برفعه المصاحف على رؤوس الرماح لتكون حكما بين الفريقين بدلا من السيف، وفي هذه المعركة تبادل كل الفريقين التهم ونظم شعراء كل من الفريقين شعرا كثيرا يبين أحقيته في الحكم، ويدعم رأيه ويدحض رأي خصمه بالحجج والأسانيد. وتطورت الظروف وقتل علي كرم الله وجهه يعد التحكيم وبايع الناس معاوية ودخلت العراق والحجاز في طاعته وطاعة من خلفوه من الأمويين، ولكن حركات سياسية بقيت تعارضهم في السر والجهر، وتعمل جاهدة على تقويض حكمهم مثل الشيعة والخوارج كما عارضهم من قبل الزبيريون، وبمقتل عبد الله ابن الزبير في مكة وهزيمة أخيه مصعب في العراق انتهت معارضة الزبيرين للأمويين. ونجد بعض الشعراء يبالغون في مدح بني أمية حتى لنجد الشاعر يزيد بن الحكم يشبه سليمان بن عبد الملك بالنبي سليمان بقوله:

عدلا وفضلا سليمان بن داودا
وانت أصبحت في الباقين محمودا.

سميت باسم امرىء أشتهت شيمته
أحمد به في الورى الماضين من ملك

3/ شعر النقائض:

النقائض فن شعري طريف شاع في العصر الأموي نتيجة انغماس الشعراء في الخصومات والعصبيات القبلية، التي كانت تغذيها الدولة حينذاك .
تعريف النقائض:

والنقيضة هي أن يقول الشاعر قصيدة يهجو فيها شاعرا آخر ويسخر منه ومن قبيلته، و يفخر بنفسه نورهطه وبما لهم من أمجاد في الجاهلية ومكانة في الإسلام، فيصبيه الشاعر على وزنها وقافيتها في الأغلب، ناقضا كثيرا مما جاء به الشاعر الأول من معان وصور مضيئا إليها من جانبه مزاييدا من الفخر والهجاء.

النقيضة: تدور في الأغلب حول محورين أساسيين:

- 1- الفخر والهجاء القبلي:
- 2- فحش من القول: يتناول أعراض الأمهات والزوجات والأخوات ونساء القبيلة بوجه عام، فيه قدر غير قليل من الطرافة والفكاهة والسخرية اللاذعة، ومن يدقق هذه المتناقضات يدرك أن المتناقضين ومن يتلقون شعرهم لم يأخذوا الأمر مأخذ الجد، بل كأن الأمر يبدو مباراة شعرية في الفكاهة والسخرية.

3- وليس أدل على ذلك من أن جريرا قد رثى الفرزدق في قصيدة نسب إليها كل ما ينسب إلى السيد العربي الجليل واصفا خسارة قبيلتهما تميم بفقد هذا الشاعر الفذ:

**لعمرى لقد أشجى تميما وهدها
على نكبات الدهر موت الفرزدق**

- عوامل نمو فن النقائض: يرجع الدكتور شوقي ضيف نمو النقائض في ذلك العصر إلى أسباب كثيرة يرجع بعضها إلى عوامل اجتماعية وبعضها الآخر إلى عوامل عقلية:

1- العوامل الاجتماعية: فمردّها إلى حاجة المجتمع العربي خاصة في البصرة إلى ضرب من الملاهي يقطع الناس أوقات فراغهم ، وقد أقبل بعض الناس في مكة والمدينة إلى أنواع من الملاهي أهمها الغناء يجدون فيه حاجتهم من التسلية واللهو.

أما قبائل العراق فلم تتجه هذا الاتجاه إذ كانت شديدة الصلة بحياتها البدوية القديمة، وأخذت نيران الهجاء تشعل فيها اشتعالا شديداً، حينئذ انبرى الشعراء يملؤون أوقات الناس بأهاجيهم ، وسرعان ما تحولت هذه الأهاجي إلى نقائض مثيرة وبذلك تحولت النقائض من هجاء خالص إلى غاية جديدة هي سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة إلى ضرب من ضروب الملاهي .

2- العوامل العقلية: مردها إلى نمو العقل العربي وتمرنه الواسع على الحوار والجدل و المناظرة في النحل والسياسة والعقيدة، وفي الفقه وشؤون التشريع وعلى ضوء ذلك كله أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها ، وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها، وفي أدلة خصمها لينقضها، و كانت هذه المناظرات تتخذ سوق المربد مسرحاً لها، فالشعراء يذهبون هناك ويذهب إليهم الناس ويتحلفون من حولهم، ليروا من تكون له الغلبة على زميله أو زملائه وغالبا ما تكون النقيضة قصيدة طويلة قد يبدوها الشاعر بالمطلع الغزلي ووصف الرحلة ،وقد يقتحم الفخر و الهجاء من البداية.

يقول الفرزدق مفتخراً.

**إن الذي يسمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول.**

يرد جرير هاجياً:

**أخزى الذى سمك السماء مجاشعا
وبنى بناءك في الحضيض الأسفل.**

وإذا تتبعت النقائض تجد أنها مسألة هجاء حاد بقدر ما تجدها مناظرة فنية بالشعر في عصبيات القبائل والعشائر.

3- الغزل العذري:

يعرف على أنه غزل نقي طاهر ممعن في النقاء والطهارة، وقد نسب بني عذرة إحدى قبائل قضاة التي كانت تنزل في القرى شمالي الحجاز لأن شعراءها أكثرها من التغني به ونظمه، ويروى أن سائلاً سأل رجل من هذه القبيلة ممن أنت؟ قال من قوم إذا عشقوا ماتوا، ويروى أيضاً أن سائلاً سأل عروة بن حزام العذري صاحب عفرأ: أصحيح ما يروى عنكم من أنكم أرق الناس قلوباً فأجابه: نعم والله لقد تركت ثلاثين شاباً قد خامرهم الموت ومالهم داءٌ إلا الحب.

● ولم تقف موجه الغزل العذري لهذا العصر عند عذرة وحدها، فقد شاع في بوادي نجد بخلاف ذلك نجد مثل الحب الحضري المترف الذي شاع في الحواضر كالمدينة المنورة ومكة المكرمة و الطائف وبرز في نظمه شعراء كثر أشهرهم عمرو بن أبي ربيعة - راجع الدرس الموجه -

• والشعراء العذريون انصرفوا انصرافا يكاد يكون تام عما كان المجتمع العربي يضطرب به من الأحداث، وعما درج الشعراء أن يلتقوا إليه من تجارب في الوصف أو الرحلة أو الهجاء أو الرثاء أو المدح، وداروا جميعا في فلك تجربة واحدة وهي تجربة الحب المقرون باللوعة والفشل والحرمان، وقد مضى الشاعر من هؤلاء العذريين لقول الشعر طوال حياته في امرأة واحدة عرف بها، حتى لينسب إليها فيقال: كثير عزة، وجميل بثينة، وقيس لبنى، ومجنون ليلي.

2- تجربة عروة بن حزام وصاحبته العفراء في الحب: عاش عروة زمن الخليفة عثمان بن عفان، وهو عذري من قبيلة عذرة واحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، ولا يعرف له الشعر إلا في عفراء ابنة عمه وقصته وشعره يتميزان بكل السمات النفسية والخلقية والفنية التي نجدها في شعر سائر العذريين، فقد أحب ابنة عمه منذ كان صغيرين وخطبها من أبيها فامتنع عليه لفقره، وكانت الأم وراء ذلك الرفض إذ كانت تطمع أن تجد لابنتها زوجا أكثر ثراء، ويرحل الفتى إلى ابن عم له يسأله أن يعينه على صداق عفراء، ويعود من عنده بمائة من الإبل لكن بعد فوات الأوان، وقد تغلب طمع الأم على عطف العم وتزوجت عفراء رجل ثري رحل بها إلى موطنه في الشام، ويحاول العم أن يوهم ابن أخيه بأن عفراء قد ماتت، ويفجر الفقد ينابيع الشعر الحافل باللوعة والذكريات والتمني، ويصيب روح الشاعر وجسده، فيفارق الحياة وشفاته ترددان ما قال من شعر في جيبها .

4- نموذج القصيدة العذرية: هو نونيه عروة الطويلة يتحدث فيها عن لوعته في الحب وقسوة أهل الحبيبة وعقبات الواشين والرقباء وفشل الأطباء والرقاة في أن يجدوا شفاء لداء المحب العميق الذي لا يبرئه إلا قرب من يحب.

يقول واصفاً لوعته وعجز الأطباء عن شفاؤه من لوعة حبه:

تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسات بدان
كأن قطة غلفت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان .

(4) أسباب ظهور الغزل العذري: قد أرجعها الباحثون إلى:

(1) العامل الديني: يرى الدكتور شكري فيصل أن الغزل العذري قد نشأ بدافع من التقوى الإسلامية، وبتأثير من مفهوم الحب في الإسلام، وارتباطه بالعفة وفي ذلك يقول: (الغزل العذري تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج، وتذهب مذهب التقى وتؤثر السلامة والعافية على المغامرة والمخاطرة، وترى أن النفس أمانة بالسوء، وأن النار قد حفت بالشهوات على حد تعبير الحديث الشريف وأنه من الخبر أن تصبر وأن تلتزم ما أمر الله به، ولذلك أثرت هذه الطائفة أن تعدل عن شهواتها فكانت مثلا واضحا للتربية الإسلامية وتعاليمها).

ومنه نستنتج أن الغزل العذري هو المظهر الفني للعواطف المتعفة والملتهبة في آن واحد معاً، والتي وجدت أن هذا التعويض هو خير ما تطفئ به لهبها وتتسامى به غرائزها.

2- العامل السياسي: وقد فسره الدكتور طه حسين في قوله: (نستطيع أن نستنبط أن بلاد العرب -بعد أن تم الفتح للمسلمين وبعد أن جاهدت في الاحتفاظ بالسلطان السياسي، وأخفقت في الجهاد إخفاقا شنيعا، وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام كما انتقل مركز المعارضة منها إلى العراق، انصرفت أو كادت تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة وفرغت للحياة الخاصة فأنكبت على نفسها وأحست شيئا من اليأس والحزن، فقبل قليل كانت مهد الإسلام ومصدر قوته، ومنها انبعثت الجيوش الفاتجة التي اخضعت الأرض وأزالت الدول، وفيها نشأت الخلافة ومنها امتد سلطان الخلافة على الأرض ثم هي ترى نفسها جردت من

كل شيء فانتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام وانتقل جهاذ الأحزاب السياسة إلى العراق، وأساء خلفاء الشام ظنهم ببلاد العرب فعاملوها معاملة شديدة قاسية وأخذوها بألوان من الحكم لا تخلو من العنف) ثم يعود فيذكر أن البادية كانت تجمع بين اليأس والفقر ومنها نشأت الحركة العذرية فيقول: (وإلى جانب اليأس والثروة في مكة والمدنية نستطيع أن نضيف مؤثرا آخر في بادية الحجاز وما يليها من البلاد العربية، ونحن قبل أن نذكر هذا المؤثر نعلن أنه بحاجة شديدة إلى الدرس، من شيوخ الأدب هذه الأيام وما نحسب أنهم يقرون رأينا فيه ولكنه مع ذلك الحق لا سبيل إلى الشك فيه وهو نتيجة اليأس مع الفقر نريد به الزهد وشيئا يشبه التصوف).

● أما الملاحظ في تتبعنا لأشعار العذريين فإننا كثيرا ما نصادف من الإشارات التي تدل على اليأس والتي قد تكون أكثر التصاقا بالتجربة العاطفية، ومثال ذلك مجنون ليلى في قوله:

إذا نظرت نجوى تكلم طرفها
فواحدة منها تبشر باللقا
وإذا مت خوف اليأس أحياني الرجا
فكم مرة قد مت ثم حييت
وأخرى لها نفسي تكاد تموت
وجاوبها طرفي ونحن سكوت

4- العامل الحضاري: إن المتأمل في الشعر العذري يجد كثيرا من وجوه الشبه بينه وبين الحركة الرومانسية الأوروبية والشعر الرومانسي العربي الحديث، فهناك تلك العواطف الحادة والأحاسيس المرهفة والذاتية والاستبطان والميل إلى الحزن، والاستمساك بالمثل العليا في الأخلاق، وبخاصة ما يتصل منها بالحرية والحق والعدل، كما أن كثيرا من السمات الفنية المشتركة تجمع بين هذه الحركات الثلاث على اختلافها في الطبيعة والدرجة.

5- السمات الفنية للغزل العذري:

لقد تميز الشعر العذري ببعض السمات الفنية الخاصة التي تضيفه عليه طبيعة تلك التجربة كما يدركها الشعراء العذريون ومن بين هذه السمات

1- تمتاز القصيدة العذرية بوحدة الموضوع، فهي تمثل أحاسيس مجردة في الحب يعبر عن حالات شعورية متقاربة من الشوق والوجدان والحرمان أو الذكريات والأمنيات، وهذه الوحدة تتفاوت في ترتيب أجزائها وتماسكها من قصيدة إلى أخرى ومن شاعر إلى آخر.

2- القصائد العذرية في أغلبها تخلو من المقدمات الطللية ويقصد الشاعر إلى موضوعه دون هذه المقدمات المألوفة في القصيدة العربية القديمة.

3- شعراء الغزل العذري يتبعون في شعرهم جيشان عاطفي متصل، يكاد يمضي في تيار واضح لا يكاد يحيد عنه أو يتفرع منه .

4- الألفاظ التي يستخدمها الشعراء العذريون معبرة موحية عن مشاعرهم، وانفعالاتهم، وعباراتهم بسيطة وواضحة تعكس تجاربهم، فالتجربة العذرية عند العذريين تجربة واضحة المعالم، محدودة الأبعاد لا تكاد تفترق كثيرا من شاعر إلى شاعر وشعرهم أقرب إلى لغة الحياة.

5- تكثر أساليب الندبة والنداء في أشعارهم وتكتسب القلوب والأكباد قدرات جديدة على الرمز والإيحاء

6- يتخذ التكرار مظهر الصيغة الشعرية الجديدة عند هؤلاء الشعراء عن طريق تكرير أدوات النداء أو التعجب أو النفي في أكثر من بيت، فتنقية التكرير البسيطة تهدف إلى التأكيد أو الاستماع، يقول مجنون ليلى:

تداويت من ليلي بليلي من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

7- بناء القصيدة عندهم تعبير متكامل عن تجربة شعورية تقتضي وحدة بين أجزاء القصيدة على أن هذه الوحدة وإن تحققت في الشكل العام للقصيدة، ليست شديدة التماسك في أبيات القصيدة نفسها فإن كثيراً من الأبيات مجرد خطرات ولفات شعورية متناثرة يمكن إعادة ترتيبها على أكثر من وجه.

8- إن خيال الشعراء العذريين ليس خيالاً محلقاً، ومواهبهم الشعرية ليست عظيمة، ولكنها صادقة في تعبيرها عن روح العصر تعبيراً فنياً مملوءاً بحرارة العاطفة وصدق الشعور، بما في ألفاظهم الشعرية من قدرة فائقة على الإيحاء والرمز. -